لا يهم

للأستاذ ثروت أباظة

جلف غليظ النفس غليظ الجسم .. حقير ساقط الأصل ساقط التفكير .. ولكنه عظيم يجثو له من يراه، وينحني لمقدمه من يقدم عليه .. فهو غني واسع الغنى، وليس لمن يعرفونه عقل ذا كر يذكرهم ما كان عليه وما صار إليه . هو غني، وهو ذو مكان وجاه، وهو أيضاً ذو عقل مجرم قاس يشرى بماله وجبروته حياة كل من يجرؤ فيمد إليه طرفا من عداوة .. أو من يرمقه بنظرة لا ترضيه .

إن رأيته رأيت وجها كالحا تماهدت قسمات الإجرام أن تتخذ منه مسكنا ؛ وهي في هذا المسكن أو في هذا الوجه تنمو مع الزمن وتتكاثر، لا تترك البيت ولا تريم، تملأ هذا النفس الحقيرة من الرائين رعبا وذا النفس الكبيرة احتقارا واشمئزازا .. وما تلازم الرعب والحقارة في وجه قدر تلازمهما في وجه ذلك الرجل .. يعلو ذلك رأس خلا من الشعر حتى لا تكاد تبين جبهته من رأسه ولا أحب أن يثب إلى ما قد يثب من أنه أصيب بالصلع فإن تفكيره الإجرامي لم يكن من العمق بحيث يساقط الشعر كما يقول علماء الجلد من الأطباء. لم يكن صلعا ما بالرجل ولكنه مرض آخر أصابه وهو لم يزل بعد جرثومة لم تكبر لتصبح مرضاً. وقد حاول بماله الدنس أن يتغلب على ما برأسه من خزي فأخفق. لقد لمسه المرض لمسة فنان تكمل ما أودع الله في رأسه من شر .. كان المرض أشبه بالعنوان للكتاب الصادر من حكومة عادلة تحافظ على الآداب العامة . هو يغطي رأسه بالطربوش إذا أصبح وبالأغطية الكثيفة إذا أمسى؛ ولكن الأغطية جميعا عاجزة عن ستر ما يريد ستره

هذا هو رأسه إن شئت أن تسمي هذا الشيء رأساً ، ولا بد لك أن تعرف علام ركب هذا الرأس ... لنتجاوز العنق اذ يبدو لي أنه لا يريد أن يبديه لعله يخفي بعض الشيء من رأسه الحقير، أيا كان الأمر ليس لهذا الشيء عنق ولكن له انبعاجا ضخما شاء الله أن يكون جسما فكان. والعجب أن هذا الانبعاج يزداد في غير انتقاص وما يضنيه وصاحبه يجبول على الشر ... إن ضايقه شخص قتله؛ وما ينقصه وصاحبه خلق ولا ضمير له

تلك هي صورته اليوم فلندع القلم يقذف به إلى ما وراء تلك السنين.. لندعه يقذف به إلى تلك الأيام التي كان لم يزل بها جرثومة صغيرة لم تصل بعد إلى تلك الخطورة التي صارت إليها ... ماذا كان ... جربوع أجرب يلهث وراء حمار أبيه بعد أن خاب في كل شيء ، فإن زار الوالد قريبا له بقيت الجرثومة خارج المنزل لا تجسر على الاقتراب الا ساحبة المطية ثم هي تنطلق خلفها مثلها فكان الركب ليس والدا وكأن اللاهث ليس ولده .. وكان الأقارب يوم ذاك يأنفون منه ويزورون عنه بجانبهم إذا أتيح له أن يروه وكان من من في طوره أولاد عمومته يكادون لا يعرفون من أمره شيئا وإن عرفوا فهو لهم لا يصلح لشيء إلا أن يعدوا وراء الحمار حمارا بتشديد او تخفيف كما تشأ كان الغلام اولاد العم او من بني قرابته يعرف هذا اذا عرفة فيخفيه ولا ينبس بطرف منه الى أحد فاذا شاء للجرثومة حظ سعيد وذكرت في مجلس لهم فالنكر والاستنكار

أنطون الجميل باشا أن يعد بنفسه بلاغا « وسميا » يدحض فيه البلاغ الأول ، وكان ، وأعاد أنطون الجميل نشر اسم حسن صبري باشا رئيس الوزارة به أن أهمله ثمانية عشر يوما !

* *

ومات أنطون الجميل في حدود الخامسة والستين عزبا لم يتزوج ، وقيل إنه كان مبخلا ، أو هكذا رماه خصومه ، وقال لنا واحد ممن تجمعه به آصرة القربى إنه خلف ثروة تتجاوز مئتي ألف جنيه ، ولا نعلم مبلغ الصندوق في ذلك فقد كنا نعرف في أنطون الجميل أنه يعيش كما كان يعيش المتصوفة الأولى يأكل بمقدار ويشرب بمقدار ، لا يسرف على نفسه ، وإنما يضيق عليها .

وكان هذا سر احتفاظه بصحته ، وسر احتفاظه باتزانه ، ذلك الاتزان الذي جعله يوجه الطعنة النجلاء فلا يخطئ الهدف ويضرب الضربة الموجعة فتصمي الخصوم .

في ذمة الأدب والصحافة ، وفي ذمة التاريخ .

منصور جاب الله

والهزء الذى ليس مثله هزؤ ثم يتمجل أحدهم فينقل موضوع الحديث قبل أن يدخل غريب فينكشف من أمر أسرتهم مايرجون له الستر. لقد كان منذذلك اليوم اصما فى ذكره مجلبة للعار. فليس أبشع من سارق على شبع . لقد كان ذكره مفسدة للخلق، فترى الأمهات اذا ما ذكره أمامهن أحد الخدم قد رفعن أيديهن إلى أفواههن حذرا من أن يسمع الولد الحديث فيفسد خلقه ويشذ عن طريقه ... كان يذكر إذا ذكر خفية فكأنه كلمة لا تقال أمام كبير خشية أن يظن بقائلها سوء الأدب

كان كذلك . ثم تمت الجرثومة كالداء يترك بغير علاج .. نمت فإذا هى المرض لا يشفيه تطبيب .. نمت فأصبح اللص الصغير سفاكا لا قبل للمجتمع به ... ومات أبوه قبل أن يعرف ما انضمت عليه ضلوع الابن من الشر الكبير ... مات الأب فخلا الابن بالحمار واعتسف ما كان لأبيه من أبيه وجمع من حوليه المجرمين من كل ضعيف النفس جائع الشهوة يريد أن يحتمى بالسفاك الأكبر ... وهكذا انقلب الحمار سيارة؛ وأصبحت تقاد له بعد أن كان يشتهى أن يقود

ازداد المال لديه . وأصبح (بيكا) وهو الجربوع . واشتهر من أمر اللص ما حاول أقرباؤه أن يخفوه؛ ولكن سرعان ما تبين للأقرباء أنهم جانبوا العدل فى معاملتهم لابن عمهم . هاهو ذا اسمه يجرى بينهم جريئا لا أحد ينقل الحديث إلى غيره ولا أحد يرفع يده إلى فمه : لقد أصبح الخفاء صريحا وجهر بما كان يهمس به : ها هو ذا أحدهم يقول « والله إنه لخفيف الظل ! لم لا نذهب إليه نسلم وننهىء ببيته الجديد» ولم يكن المنزل جديداً ولكنهم ذهبوا هاهم أولاء فى منزله وها هو ذا يرحب بهم فرحا أن قصد إليه من كان يزور عن لقائه ، ولكن الأقرباء لم يجدوا أنفسهم منفردين بل وجدوا معهم وجوه البلاد وأعيانها من حكام وأقطاب باسم الله ما شاء الله ! وغمز أحدهم للآخر « قم فعجل بالقهوة» فأجابه الآخر «وانت معى قم فعجل بالطعام» وقام : ومالها لا يقومان ؟ لقد أصبح الفقير غنيا! أما كيف كان الغنى فانه لا يهم ... لا يهم

٩ ٣٦

ثروت أباظه

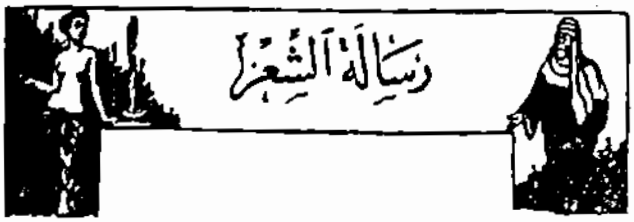

خواطـــر لاجئة

للانسة إلهام يوسف

تحت حرارة الشمس .. ورحمة الرياح.. مرت بى .. وأنا أنتظر ، وأنظر فى صحيفة السيارة لأعود فى معسكر المهاجرين .. الى البلدة « غزة » وكان بيتا حديث . فإليها وإلى طفلها الرضيع . هذه الأبيات ...

إلهام

قالت .. تسائلنى .. وفى ألحاظهـــا ما يؤلم
ترنو إلى بنظـــرة وكأنهـــا تتـــكلم
وعلى يديها قطـــمة .. ..منها بعضت تحـــلم
قالت : أترجع .. أخـــبرينى .. إننى أتضرم
والشوق يحـــرقنى إلى وطنى الحبيب .. ويسقم
والذكريات تهـــزنى بحنينهـــا .. وترنم
أمسى هناك .. وهل سوى أمسى الذى يتبسم ؟
ألمرج يدعونى إليـــه والذرا .. والأنجم
والشاطئ البـــاكى على صخر الأسى يتحطم
والمنزل المهجور .. غـــير رؤى الخيال تهدم
كل ينـــاديني .. يقول متى نعود .. ونتنعم؟

* * *

قالت .. ولم أسمع لهـــا .. وكأننى لا أفهـــم
ورنت إلى .. بلهفـــة وعيونهـــا تستفهـــم
ومضت .. وملء مسامعى منها .. صراخ مبهم

غزة — إلهام يوسف